أوروبا تحتفل بمئوية عوليس لجيمس جويس

شارك الأيرلنديون اليوم في أكبر احتفالية أدبية في تاريخ البلاد بمناسبة مرور مائة عام على اليوم الذي تبدأ فيه أحداث رواية عوليس (Ulysses) للأديب الايرلندي جيمس جويس، والمعروف في العالم بـ (يوم بلوم) تمجيداً لليوبولد بلوم الشخصية الرئيسة في الرواية.وجلس عشرات الآلاف من عشاق أدب جويس في شوارع دبلن وتناولوا إفطاراً مثل ذلك الذي كان بلوم يطهوه لنفسه في بداية الرواية. ثم أدى عشرات الممثلين أمام مركز جيمس بوسط دبلن مشاهد من الرواية أمام الجمهور.

وفي الطرف الآخر من المدينة تجمع المئات عند برج مراقبة حجري على الشاطئ الذي تبدأ عنده الرواية. وهناك - وهم يتطلعون إلى خليج دبلن الممتد أمامهم - استمعوا إلى قراءات أدبية أداها ممثلون لأجزاء من الرواية التي يعتبرها كثيرون أعظم رواية باللغة الانجليزية ومعلما من معالم الأدب الاوروبي.

اعداد: المدى الثقافي

يوم بلوم

لقد اختار جويس يوم ١٦/ حزيران عام ١٩٠٤ لبدء أحداث روايته لأنه اليوم الذي خرج فيه أول مرة مع المرأة التي اصبحت زوجته بعد ذلك. وبدأت الاحتفالات بالذكرى المئوية ليوم بلوم في الثاني من شباط الماضي يوم عيد ميلاد جويس وتنتهي في آب المقبل.

ولم تقتصر الاحتفالات على ايرلندا، بل شملت نحو ٤٠ دولة من كوريا الجنوبية إلى النرويج.

وفي ألمانيا حولت صحيفة تاتس اليسارية اليومية - المشهورة بعناوينها غير التقليدية - عددها بكامله إلى ما يشبه نسخة جديدة من الرواية متخلية عن كل الأخبار التقليدية.

أما النرويج فأقامت شومباثلي تمثالاً لجويس، حيث ينحدر والد بطل الرواية من هذه البلدة، ومن المتوقع أن تقام حفلات تكريم في ايطاليا وسويسرا وفرنسا، وهي الدول التي امضى فيها جويس اغلب حياته بعد ١٩٠٤ عندما ترك ايرلندا حتى وفاته عام ١٩٤١ عن ٥٨ عاماً.

جرأة الرواية

ومن المفارقات مع كل مظاهر الاحتفال هذه، فإن عوليس رواية لا تضم الكثير من الأحداث.

فبلوم يجوب الشوارع محاولاً نسيان زوجته الخائنة مولي وعشيقها بلاتيس بويلان، في حين يمضي ستيفن ديدالوس الشخصية الرئيسة الأخرى في الرواية وقته في التفكير والسكر.

غير أن جرأة جويس وتعاطفه الكبير مع البشر في سرده للأحداث اليومية هما ما يجعل عوليس أحد أهم النتاجات الأدبية في العالم. واعتبر الأيرلنديون الرواية التي نشرت في باريس عام ١٩٢٢ منافية للمعتقدات المسيحية، وحظرت في بريطانيا، واحرقتها أجهزة الرقابة الأدبية في الولايات المتحدة. وقالت عنها الكاتبة البريطانية فرجينيا وولف إنها (مليئة بالابتذال). لكن جويس - الذي تنامت شهرته بمرور الوقت - كان يدافع عن وصفه لدبلن في ذلك العصر بكل ما يشوبها من بثور، وكتب لشقيقته تعليقاً على الانتقادات يقول (إذا لم تكن عوليس جديرة بالقراءة، فالحياة غير جديرة بالعيش).

عالم كامل

ويرى النقاد أن عوليس عالم كامل وساحة تزخر بصراعات المدارس الأدبية ومناورات السياسيين ومتاهات الفلاسفة، ويعتبرونها تاريخ أيرلندا وإنجلترا والولايات المتحدة والعديد من بلاد الشرق والغرب.

وتدور أحداث عوليس في ١٨ ساعة فقط لكن جيمس جمع فيها خلاصة عصره منذ نعومة أظفاره.

لقد عانى جيمس جويس كثيراً في حياته وكان يقطع يومياً مسافة طويلة ليركب القطار ثم السيارة ثم الدراجة ليقف على شاطئ البحر ويصعد إلى سفينة ليقوم بتدريس ابنة الربان مقابل ٥ شلنات وهو مبلغ يكفي لوجبة رديئة.

ومن هنا اصبح الرجل ناقماً على البشر، حتى إنه اعلن أمام أحد أصدقائه أنه سيكتب رواية معقدة تحتفظ بنسخة منها مكتبات العالم.

واللغة التي كتبت بها عوليس معقدة، فهو ينحت كلمة واحدة من لفظين في لغتين مختلفتين، وهذا ينعكس حتى في أسماء الشخصيات. ويسمي الأوروبيون هذا الكتاب (رواية البشرية) كتبها جويس في ١٧ سنة وهي دائرة معارف كاملة لعوالم جويس المتعلقة بالجنس البشري، لدى جويس بالطرافة والغرابة والتبسيط في وقت واحد، ويغيب عنه (الرقيم) (علامات الوقف) وفيه تحذف الكلمات - المفاتيح. ويسعى دوماً إلى أن يمتزج بـ (الفكر) الغامض حيث تتداخل الاحلام و(الفانتسمات) والهواجس والذكريات. وكم حاول جويس في تأسيسه (الحوار الداخلي) أن يفيد من عالم النفس، معتمداً نظريات فرويد ويونغ وسواهما، مستكشفاً عالماً نفسياً غير عقلاني، حلمياً وما قبل - منطقي. وكل اكتشاف في هذا الحقل أو الميدان النفسي لا يمكنه إلا أن (يثور) الموضوعات (التيمات) والبنى الجمالية واللغوية.

لعله هاجس التعبير عما سماه دوستويفسكي، في طريقه تنبؤية (الروح الديماسي) (أو الخفي والتحت - أرضي) وهذا الروح تجلى في عام ١٩٢٠ في ظاهرتين مختلفتين تماماً: الكتابة الآلية التي نادى بها السورياليون (وهي تقنية خاصة جداً) و(المونولوغ الداخلي) الذي أرساه جويس. وعرف هذا (الحوار) استخدم فيه تكنيك الحلم والكابوس وتوارد الخواطر.

عوليس تقنياً

أما أبرز ما ابتدعت رواية (عوليس) تقنياً أو فنياً فهو (المونولوغ الداخلي). هذا ما يجمع عليه النقاد الغربيون. فالقاعدة الأولى التي توفق بين عناصر عدة هي أصلاً تقنية الرواية نفسها القائمة على المونولوغ الداخلي). وإن كانت أعمال سابقة عرفت (المونولوغ) هذا، مثل اعمال هوميروس وبعض التراجيديات الاغريقية وبضعة أعمال للروسيين دوستويفسكي وغوغول، فان جويس هو الأول الذي سعى إلى أن يجعل المونولوغ الداخلي (كطريقة في التعبير)، يسيطر على رواية بكاملها. ولم يتمكن أي روائي قبل جويس أن يسبر منابع هذا (الحوار) وخصائصه ثم نتائجه و (ردائفه) وأعماقه النفسية. ويقول الناقد الفرنسي جان كزو إن صدور (عوليس) يسجل (تاريخاً حاسماً في ما يمكن تسميته (دخول الكلام الباطني من الأب). ويتميز هذا (الحوار) قراءة غير متسلسلة وقد يكتفي بعضهم بفصول منها... وليس من المستهجن مثلاً أن يسأل الكاتب فيليب سولرز عن (قارئ) رواية (عوليس) مفترضاً إن الذين يتكلمون عن الرواية هم أكثر من الذين يقرأونها. هذه حقاً ملاحظة مهمة. فرواية (عوليس) الفريدة هي رواية كتبت لتقرأ ولكي لا تقرأ في الحين عينه. إنها اقرب إلى (المتاهة) التي تجعل من (اليوم) وساعاته الأربع والعشرين يوماً ابدياً يتخطى التقويم الزمني. فهو يوم الذاكرة مثلما هو يوم الفكر ويوم النفس... يوم كأنه محذوف من التاريخ، كأنه يوم على حده خارج مملكة النهار والليل. وإن كانت الرواية هي رواية ليوبولد بلوم المسمى (عوليس) أو (اليهودي التائه) فإن الرواية تبدأ مع بوك موليغان وستيفان ديدالوس منذ الاصباح. ولن يظهر بلوم إلا بدءاً من الفصل الرابع وتحديداً عند الثامنة صباحاً وكأنه يستعيد الصباح بدوره ليستعيد الحكاية. ليهيئ بلوم الفطور لزوجته المغنية التي تستعد للقاء مدير أعمالها الفنية أو (الامبريزاريو) بويلان (المتحمس) كما يصفه جويس. ثم يتوجه في العاشرة، بعد أن يرتاح من ألم في أحشائه عبر التأمل في الأدب، إلى الخارج سالكاً شوارع دبلن حيث لا تفوته واجهة محل ولا عابر ولا ضوضاء. وفي مركز البريد يجلب، تحت اسم هنري فلوري، رسالة موجهة من مارتا، المرأة السرية. ثم إلى الشوارع من جديد وإلى بعض الأمور الصغيرة والشواغل اليومية، ثم يدخل كنيسة يحتفل فيها بالقداس..

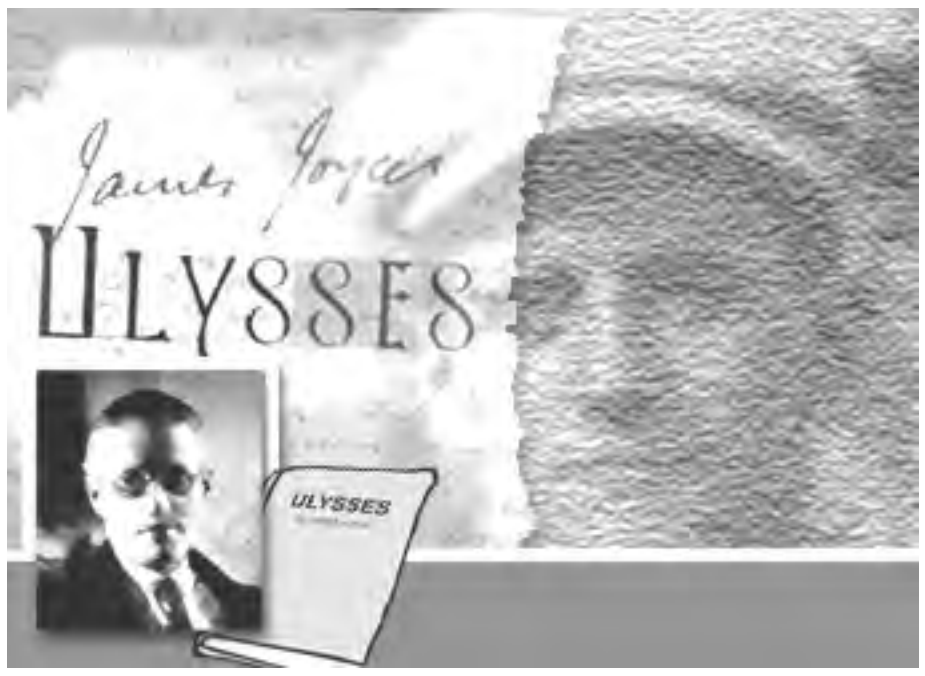

في هذه الرحلة أو لنقل في هذا السفر الأول، في الفصل السادس، يجتاز بلوم من جنوبها إلى شمالها قاصداً إحدى المقابر. يحضر جنازة رجل يدعى دينيام، محاطاً ببعض أصدقائه. عند الظهر يقصد بلوم في مكاتب صحيفة يومية أسمها (الانسان الحر)، (كهف رياح وأخبار خاطئة). يرحب به المدير ثم يوبخه. وهنا يسوق جويس طرائف عدة عبر سلسلة من المقالات متناولاً تاريخ الصحافة وقضايا وظواهر مختلفة كالاعلان والغناء والعدالة والرياضة والطيران.. وكل هذه المقالات تقرأ كما لو كانت في (صحيفة). وعندما تدق الساعة الواحدة يعود بلوم إلى شوارع دبلن، تائهاً باحثاً عن مطعم. يلتقي امرأة، يلقي كسرات خبز لطيور النورس وينهي ترحاله في مقهى، حيث يتناول سندويشاً وكأس بورغوني. في الثالثة يدخل بلوم مكتبة عامة ليتحدث مع بعض المثقفين عن مسرحية (هاملت) مقدماً نظرته اليها وإلى الدراما الشكسبيرية عموماً. ثم يستمر الحوار ويتعمق ليصبح فلسفياً يستند فيه بلوم إلى آراء أفلاطون وأرسطو الديالكتيكية ثم الامتثالية والطليعية... وبينما يتوه من ثم في الشوارع و (الافكار) بين الأرصفة والحانات، (مغامراً) مثقفاً يحب الموسيقى والغناء، تستسلم زوجته إلى اغراء (الامبريزاريو) وتخون زوجها معه. إنها (بينيلوب) الخائنة، المرأة التي تنتظر زوجها وتخونه عبر انتظارها إياه.. ثم يحل المساء، وتبدأ المرحلة (الليلة) من مغامرة بلوم.. إلى أن يلتقي ستيفان ديدالوس ويتجها معاً إلى ما يشبه (قصر ايثاكا) لدى هوميروس أي (الوطن المستعاد).

من يستطيع أن يلخص ملحمة (يومية) في سطور؟ ثم ماذا عن التفاصيل الكثيرة جداً والتي تحفل بها هذه (المتاهة) الروائية؟ بل ماذا عن المشاهدات واللقاءات و(الاحداث) والوقائع والمصادفات التي يصخب بها يوم واحد هو في حقيقته يوم لا نهاية له؟ ماذا فعل ليوبولد بلوم ذو الثمانية والثلاثين عاماً خلال هذا اليوم؟ ماذا فعل ستيفان ديدالوس والزوجة موللي اللذان يشكلان الزاويتين الأخريين لهذا المثلث الذي يؤلف بلوم زاويته الأولى؟ علاوة على أهمية مدينة دبلن وحضورها اللافت وكأنها شخصية رئيسة في هذه الرواية.

ففي هذه المدينة يتجسد فضاء الشخصيات وأزمنتها. ترى هل يستطيع جيمس جويس أن يقول (أنا ليوبولد بلوم)؟ مثلما قال فلوبي مرة (أنا مدام بوفاري) قال جويس عن بلوم: (هذا رجل كامل تماماً، أي أنه انسان طيب. على الأقل، هذا ما قصدته.)

ليست رواية (عوليس) مغامرة روائية فحسب ولا مغامرة لغوية وأسلوبية فقط، إنها مغامرة روحية وعقلية أيضاً استطاعت أن تعيد إلى الانسان معنى الوحدة ومعنى قرابته العميقة للعالم. وعلى رغم ما تحمل من مآس وآلام ومهازل عبثية، فهي تظل أجمل مديح يمكن أن يقال في الانسان، حائراً وقلقاً وباحثاً دوماً عن حياة أخرى، حقيقية أكثر من الحياة نفسها. ترى هل تقرأ رواية (عوليس) مترجمة عن الانكليزية أم يجب أن تقرأ في لغتها الأم أو بالأحرى في (لغاتها) الأم؟ قد تكمن فرادة هذا السؤال في كونه لا جواب له. أما السؤال الأشد إلحاحاً فهو: كيف نقرأ (عوليس) اليوم؟ (عن الحياة).

نسخة من الطبعة الاولى للرواية معروضة في متحف دبلن

محطات

مكتبة الإسكندرية تحضر لمؤتمر عن حرية التعبير

مصر

بدأت في مكتبة الاسكندرية أعمال ورشة العمل بالتحضير لمؤتمر عن حرية التعبير على هامش منتدى الاصلاح العربي الذي عقد أول مؤتمراته في آذار الماضي بمشاركة موفدين من أغلب الدول العربية.

وقال مدير المكتبة إسماعيل سراج الدين إن ورشة العمل التحضيرية يجب أن تؤكد أربع نقاط رئيسة لوضع آلية لمتابعة ما بعد وثيقة الاسكندرية التي خرج بها منتدى الإصلاح العربي.

من جهته قال جابر عصفور إن (الهدف من هذه الندوة الخروج بتوصيات لمؤتمر حرية التعبير الذي سيعقد في مكتبة الاسكندرية في أيلول المقبل واستخلاص التوصيات التي ستتم مناقشتها مع منظمة بيكن النرويجية في الشهر ذاته).

واشار رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان محمد فائق إلى أن تقدم الامم يقاس بمدى الحريات الممنوحة لمواطنيها، مضيفاً أن الحديث عن حرية الرأي والتعبير لا بد أن يقترن بدراسة الظروف العالمية والوقوف على مدى تأثيرها على الظروف المحلية.

وانقسمت ورشة العمل صباح الخميس إلى ثلاث لجان، هي: لجنة حرية التعبير في وسائل الإعلام برئاسة المصري حمدي الكنيسي واللبناني عبد الوهاب بدرخان ولجنة العلاقات بين التشريعات والقوانين وحرية التعبير برئاسة الاجتماعي الكويتي خلدون النقيب، ولجنة حرية الفكر والإبداع والرقابة برئاسة عصفور.

وتستمر جلسات ورشة العمل ثلاثة أيام استناداً إلى وثيقة الإسكندرية التي صدرت في آذار الماضي عن مؤتمر الإصلاح العربي الذي افتتحه الرئيس المصري حسني مبارك.

وتضمنت الوثيقة دعوة إلى تجديد أشكال الحكم بما يضمن تداول السلطة بالطرق السلمية طبقاً لظروف كل بلد وإجراء انتخابات حرة والغاء مبدأ الاعتقال بسبب الرأي في كل الدول العربية وإطلاق سراح سجناء الرأي، كما طالبت بالغاء المحاكم الاستثنائية وقوانين الطوارئ وإطلاق حرية تشكيل الأحزاب السياسية وضمان حرية الصحافة ووسائل الإعلام وإطلاق حرية تشكيل مؤسسات المجتمع المدني.

(حديث العود) برنامج موسيقي تلفزيوني

لندن

يواصل عازف العود والمؤلف الموسيقي أحمد مختار تقديم برنامجه الثقافي الموسيقي الذي أطلق عليه (حديث العود) من خلال شاشة قناة (المستقلة) الفضائية وذلك من استديوهاتها في العاصمة البريطانية لندن.

البرنامج يتناول الموسيقى العربية ونظرياتها وآلة العود وأساليب العزف لكل المستويات ويقدم للدارسين شرحاً لتقنيات العزف المتقدم، كما يتناول حياة وأعمال جميع رواد هذه الآلة ويقدم بعضاً منها. ويضيف البرنامج أهم العازفين في الوطن العربي ويقدم أعمالهم، كما سيقدم مختار من خلال البرنامج أعماله ومؤلفاته الخاصة إضافة إلى اعمال من التراث العربي الموسيقي.

يبث البرنامج عند الساعة الثالثة والنصف بتوقيت غرينتش من كل يوم خميس، عبر القمرين الاصطناعيين (عرب سات) (وهوت بيرد). في حلقات البرنامج يتلقى مختار العديد من الاتصالات من الموسيقيين والمهتمين بالموسيقى والثقافة الموسيقية عموماً. إذ وبعد استضافته للفنان العراقي الشهير فؤاد سالم الذي قضى أكثر من ربع قرن من حياته في مقارعة وفضح نظام المقابر الجماعية، بينما كان المغنون الاخرون يحصدون الامتيازات جراء تطبيلهم لتجميل صورة ذلك النظام، استضاف العازف اللبناني شربل روحانه وأيضاً عازف العود المنفرد خالد محمد علي والعازف حسام الجلبي وهم من الذين رفضوا العمل للدكتاتور بينما قدم الاخرون كل ما يملكون له برغم ادعائهم بالانسانية حتى وصل الولاء باحد العازفيين أن يهدي اسطوانته الموسيقية لصدام.

يذكر أن مختار الحائز من اتحاد الموسيقيين البريطاني على جائزة أفضل عمل غير غربي، اختير مؤخراً عن منطقة الشرق الأوسط من قبل المنظمة الطبية التابعة للأمم المتحدة والمدافعة عن المتضررين من الإرهاب والحروب، مع موسيقيين آخرين من مناطق مختلفة من العالم، لإصدار أسطوانة موسيقية يعود ريعها للمنظمة المذكورة.

بن جلون يحرز جائزة إمباك الأدبية

فاز الكاتب المغربي الطاهر بن جلون بجائزة إمباك الأدبية لدبلن التي تعد واحدة من أهم الجوائز الأدبية في العالم وذلك عن روايته (تلك العتمة الباهرة) التي أصدرها باللغة الفرنسية عام ٢٠٠١.

وقد حصل بن جلون على هذه الجائزة البالغة قيمتها المالية ١٠٠ الف يورو - يحصل مترجم الرواية على ربعها - رغم المنافسة القوية مع عشرة كتاب آخرين رشحوا للجائزة بينهم الروائي البريطاني وليان بويد عن (أي قلب) والكاتب الأميركي بول أوستر عن (كتاب الأوهام).

وأشادت لجنة التحكيم في قرارها الخميس برواية بن جلون المترجمة من الفرنسية بوصفها (تحفة فنية جددت الغرض الحقيقي من الأدب، وهو ما لا يفعله إلا كتاب يصدر من وقت لآخر).

وتعالج رواية (تلك العتمة الباهرة) بتقنية أدبية إحدى الصفحات الحالكة لواقع حقوق الانسان في المغرب والمتمثلة في ظروف سجن ضباط مغاربة متهمين بالتورط في عملية انقلابية ضد العاهل المغربي الراحل الملك الحسن الثاني عام ١٩٧١.

وقد قضى هؤلاء الضباط زهاء ٢٠ عاماً في سجن تزمامارت جنوبي شرق المغرب في ظروف لا إنسانية ولم يتم الإفراج عنهم إلا تحت ضغوط دولية، في حين كانت السلطات المغربية تنفي طوال تلك المدة وجود معتقل بهذا الاسم فوق أراضيها.

يذكر أن (تلك العتمة الباهرة) قوبلت بنوع من الفتور في المغرب خاصة من طرف الأوساط المهتمة بحقوق الانسان والتي عابت على بن جلون صمته المطبق عن معاناة معتقلي تزمامارت على مدى نحو ثلاثة عقود رغم وزنه الدولي على الصعيدين الأدبي والاعلامي.

ويعتبر الطاهر بن جلون أحد الأسماء البارزة في الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية، فقد كتب روايات كثيرة ترجمت إلى اللغة العربية ومن أشهرها: غزالة وتنتهي العزلة، يوم صامت في طنجة، حرودة، طفل الرمل، ليلة الغلطة، نزل المساكين، المرتشي، صلاة الغائب، الكاتب العمومي.

والرواية تتحدث عن معسكرات التعذيب الصحراوية في المغرب التي كانت مصممة بحيث يموت السجناء ببطء بعد معاناة طويلة، قبل أن يلتفت العالم الخارجي إليها وتضطر السلطات إلى إغلاقها في عام ١٩٩١؟

الرواية تعبير عن قوة إرادة الحياة في مواجهة قوى الموت وتصوير للطاقة اللانهائية التي تختزنها النفس البشرية في مواجهة الرغبة في امتهانها وكسر عنفوانها.

إنها رواية عن الوحدة وغياب الفضاء كما هي عن قدرة الانسان على ايجاد فضاءات داخل روحه إن حرم من مساحة خارج جسده. عالم لا يصادره الجلاد. سالم، بطل الرواية، يستعين بعوالم اختزنتها ذاكرته من قراءاته في الأدب الفرنسي لقهر محدودية العالم الذي يحيط به، فيبدأ بقص رواية (الغريب) لألبير كامي على زملائه في الزنزانة.

لماذا ألبير كامي بالذات ولماذا الغريب بالتحديد؟ هل يريد سالم الاستعانة بفلسفة الفرد في مواجهة الموت؟ هل لأنه من زنزانته التي ليس فيها كوة للضوء ولا طاقة للأمل يرى الموت حتمياً ولذلك يريد أن يبحث عن عزاء في الفلسفة، فيستعين بكامي والغريب الذي رفض الحديث حتى مع الكاهن الذي جاء ليعزيه في وحدته، وأصر على مواجهة الموت وحيداً بكرامة وشموخ؟ هل هي الوحدة التي جعلت سالم يجد في شخصية رواية كامي مثالاً يحتذى في التعامل مع كونك وحيداً في مواجهة موت يتربص بك ولا قدرة لك على رده؟ في لحظات انتظار الموت يستوي كل شيء، وليس أقوى من اللامبالاة سلاحاً لمواجهة من يعتقد انه أقوى منك لأنه يستطيع مصادرة حياتك. فماذا يستطيع أن يفعل

إذا جعلته يحس أنك لا تأبه؟ رواية كامي مليئة بعبارات من مثل. (هذا لا يعني شيئاً) و(هذا سيان بالنسبة لي). الكتابة بلغة الاخر، اغتراب أم خيار؟

منذ رحيله إلى فرنسا وطاهر بن جلون يكتب رواياته باللغة الفرنسية.

يقول بن جلون أن السبب هو رغبته في التحرر من قيود يفرضها الواقع والقيم الاجتماعية على اللغة العربية فتقيد الكاتب في معالجة قضايا ينظر اليها القارئ العربي بتحسس.

بالاضافة إلى ذلك فابن جلون يرى في لغة الآخر التي يستعملها وسيلة لتصوير واقعه هو، أداة توجد مسافة بينه وبين هذا الواقع فتمنحه درجة أكبر من الحرية في صياغته.

هو ايضا يخاطب القارئ الفرنسي بلغته ليكسر العزلة التي تفرض على ناس يعانون واقعاً كالذي تصوره روايته، وطالما أتهم بنقل صور غير مشرفة عن واقع بلاده، وهي تهمة رفضها بشدة.

فابن جلون يؤمن أن تسليط الضوء على بقع الظلام هي رسالة يقوم بها من خلال اعماله الادبية.وقد اخذ البعض على بن جلون الانتظار كل هذه الفترة للكتابة عن سجن (تازمامارت) الصحراوي ومعاناة المعتقلين فيه بعد أن قضوا سنين طوالا لا يدري بهم أحد.

إن هذه الرواية لم تساعد نزلاء معسكر (تازمامارت) بالذات ولكنها تفتح عيون القارئ على عوالم قد لا يعي وجودها ولكنه مسؤول ضمناً عن فضحها بغض النظر عن مكان وجودها وزمانه.